

# الشعر العامي في جنوب لبنان .. إطلالة ولقاء تاريخ "غير شعري" وإبداع مشوب بالخطية



• جولة زجلية •  
من اليمين جان رعد ،  
زين شبيب ،  
أسعد سعيد  
وجوزف الهاشمي  
( زغلول الدامور )

• أم التحذير طبع من هواها •  
أدب في الصبغة كان مني  
أزال نعيم وصل الحب عني  
يعيب بهاء الوائي وأني  
أزاه الشمس تلعب في سماء

كتاب منزه وهيبه الخائن المثلث في ثلاثة المراجع ) . ومن  
الخصيصات المصنوية ورقة الاستعارة من الوقائع .  
والحكم والأمثال الإسلامية ، فاشعر العامي هنا يستعير  
مواقع السجل الديني الذي ولد عنده الشعر المصحح  
ويرتأج إلى هذه الاستعارة

الشاعر يكتب باللغة التي يتقن . ذلك أن الشعر في غالب  
تاريخه لغة لغوية جمالية أبغاعية تطمح إلى الإدهاش  
والوصول إلى ذاكرة الجماعة من هنا فإن تعبير الشعر  
الشعبي يبدو تعبيراً مصطنعاً يفرض مستوى للشعر .  
شعبي ونضوي . في حين أن الشعر أيا كانت لغته يمكن أن  
يكون شعبياً أو نخوباً حسب تعديده وشمع جماليته  
وحضوره لدى سواد القراء  
غير أن هذا التقسيم يفرض لغة واحدة تنسحب على  
الشعراء والمثقفين في آن . وهذا امر غير واقعي في ابل لغة من  
اللغات . إذ أن اللغة تلتقي بين طوائفها ومكتوبها في زاوية  
تنسج أو تضيق وفق مقدرة اللغة المكتوبة على امتصاص  
غالباً بمقدار الصياغات والتراكيب . وإذا أبل يترك فهو  
العربية من أوفر لغات العالم تمتعاً بهذه المقدرة بينما بذلك  
استمرارها من دون اللغات القديمة وتجدها غير المصنوع .  
واستعارة للكلام الجديد في صياغاتها الربية والمرنة  
ومهما كانت زاوية الاتفاق بين فصحي المشاركة  
وعلميتهم . فإن هذه العامية تراث الفصحي بعيد الكلام  
وتحيط منها مثلاً في الصياغات في آن فلا الطرفين يغذي  
الطرف الآخر فيتمكنا من جدلية ملحوظة . ولقد أدت  
الفصحي وتلقت أنها مع خطوات نحو الأمية قدرة على أن  
تكون أكثر بساطة وأن تضيق إلى الحدود الممكنة من زاوية  
انفراقها عن العامية

وتبعاً لهذا الاتفاق . مهما كانت سافته . فإن لدينا شعراً  
بالفصحي وآخر بالعامية . وهذا الأخير الذي هو موضوعنا  
يبدو بالضرورة حيوياً عصباً على القوالب من الفولكلور من  
ميزات الفصحي . وهو أيضاً أكثر عضوية والفتاحاً فلا يابه  
غالباً بمقدار الصياغات والتراكيب . وإذا أبل يترك فهو  
يتسب لنفسه موقف الفصحي الذي لا يستطيع تحمله .  
فسرعان ما ينفض الناس عنه ويلطعون ويريدوا الشعبي .  
وتلقت إلى الشعر العامي في جبل عامل حيث الفصحي  
تنسج بقداسة استثنائية كونها لغة القرآن والنصوص  
القلبية . وحيث تغلف الثقافة الدينية على ما عداها باعتبارها  
حافظاً للهوية الجماعية

في مثل هذه البيئة يبدو الشعر العامي اسراً شعبياً  
بالخطية . ويميل العقل الجمعي إلى تفصيل تلك قصيدة  
بالفصحي على أربع قصيدة بالعامية . كون الأولى تمت بصلة  
إلى المقدس والثالث وكون الثانية تعبيراً عن المؤقت والفاني  
من هذا التفضيل قد رسم الشعر العربي في جبل عامل رسمه  
أبيولوجية دينية منطلقة من طائفة الأوصاعن المكان . فهاشمت  
السائد من الشعر الفصحي هو ذلك المنسب إلى كلام التراث  
ومناخه والذي يمتد من الكلام بونوبيا ويعتبر الواقع  
والطبيعة الربية والإقامة نوعاً من العرض الزائل أو الأثم  
.. إن هذا الموقف يفتي عنده المتعلم والامي . وإذا لم  
يكتسب الشعر العامي شريحته في جبل عامل إلا متأخراً . مع  
نشوء دولة لبنان الكبير ووجود مسارب للثقافة الفصحوية  
عبر المسرب الديني . أي مع وجود مثقفين مدنيين غير فضاء  
أن الوضع الأنف الذكر استتبع عدم الاهتمام بتاريخ  
الشعر العامي في جبل عامل . وكان هذا الشعر إذ يقابل بحقله  
ساعده إلى حين ثم يكفر شيئاً فشيئاً ولا يكتسب إلا نادراً  
فضيلة التكوين والبهاء . وتبدو الصورة السلبية هذه نافرة  
إذا قرأنا التاريخ شبه المهدوم للشعر العامي في جبل عامل  
ببظريفه وشبهه الشعر العامي في جبل لبنان . إذ نجد أن هذا  
الأخير حظي بنسج وتاريخ مفصل . ولا نغزو السبب كما هو  
شائع إلى الشئ السياسي . فالمرآنة في معظم تاريخهم رعو  
الفصحي وفخروا بروائعهم المكتوبة بها . ولعل السبب كما  
في أن ما يحفظ الجماعة المارونية هو تاريخها المدون وأدبها  
العامي والفصحي اللذان يعينان في الدرجة الأولى بوصف  
المكان وأيام الإقامة أكثر من عنايتهم بالأيديولوجيا الدينية  
التي لا تنتمي إلى مكان محدد

أن الشعر العامي العامي وجد ونشأ وترعرع في التاريخ  
غير الشوعي وغير المكتوب للجماعة اللبنانية العامية . بيد  
أن هذا الشعر يندرج في أبلغات الشعر العامي في لبنان وما  
يجاوره في سورية الغربية ولبنان واليمن الشمالي  
وإن هذه الإفاغات هي الأبرز في الشعر العامي في لبنان وما  
يجاوره . وهي مشتركة تضي أشكالاً متشابهة على هذا  
الشعر . بيد أن ثمة بعض الخصيصات المصنوية للشعر  
العامي في جبل عامل . أبرزها أنه يحفل بالمرفات والصيغ  
الفصحي . ذلك أن الشاعر العامي في هذه البيئة الثقافية  
يضع إلى نظم الفريظ . فهو يقرابه في الصيغة والمفرات .  
وما قوله الشعر العامي إلا كونه حرم من تعلم اللغة  
واقفاً . فإذا قدر له أن يحصلها فهو ما يلبث أن يترك  
العامية إلى كف الفصحي فيصعب اعترافاً وشرعية . وقد برع  
بعضهم في تريب العامية إلى الفصحي إلى حد أنه نظم قصيدة  
يمكن قراءتها باعتبارها عامية وباعتبارها فصحي لا شائبة  
فيها في أن ( ثمة مثلاً عما قصيدة . مي . غير المنشورة  
للسيد محمد المصطفي من بلدة حوامين التحتاً في قضاء  
النبطية . وقصيدة بلا عنوان لعبد الجليل وهي من بلدة  
حاروق قضاء النبطية . أيضاً . وقد وردت هذه الأخيرة في

والجولة الزجلية • أول جولة في لبنان هي جولة شعور  
الوادي المألوفة من أسعد المغالي ( الشعور ) . على  
الحاج . أنيس روحانا . طنبوس عيده . ولقد كتبت رديداً  
( مرديداً ) في هذه الجولة . وأكثر أن جولة الشعور لثارت في  
الغزاية مع جولة أخرى تضم وليم صعب ونعمة زيادة ومزيد  
حمرة ورايح لا أكثر اسمه . حينذاك البهارات وليم صعب وأنا في  
الرابعة عشرة من عمري  
تتألف الجولة الزجلية من رئيس وثلاثة شعراء .  
مراحل الحلقة التي تربطها الجولة في البدء الافتتاحية  
( فوجوية ) خمسة أو ستة أيها . ثم يبدأ الشعراء اثنين  
الذين بالخطب والجواب . عندما أشتات مع خليل روفز  
جولة الجبل . كنت أراسها في الجنوب وكان هو يرأسها في  
جبل لبنان . ولقد تورنا الافتتاحية فكان كل منا يفتتح بثلاثين  
أو أربعين بيتاً  
الافتتاحية تكون محضرة سلباً اما الخطب والجواب  
فيرتجلان . ويحدث هنا لقاء مسبق على مواضيع  
الخطب والجواب . منها ملا . النقص والتكسر . القاعة  
والطمع . الأول والآخر . الشمس والقمر . الأول والآخر ( لم  
تكن أنا و خليل روفز نتفق مسبقاً على المواضيع وكذلك أنا وعلى  
الحاج المغالي )

الشعر العامي في جبل عامل طبع دائماً إلى دور الفصحي .  
فقراب شكله من شكلها ما أمكن الشعراء . وتصدى  
لموضوعاتها وأغراض شعرها فكان منه الغزل والخمر واليهام  
والمدح والثناء والدعاء والزهد . وهو في المدايح والأهلي  
كثيراً ما تعدى الشأن الفردي إلى الشأن الجماعي فكان  
منه شعر جفري فيتعهد تعداد بلدانية جبل عامل أو بعض  
أجزائها . وكان من الشعر العامي العامل ما يمتدح زعماء  
العشائر والعائلات ويشير إلى معارف تاريخية معروفة . يقول  
. شاعمة . من شعراء القرن الثامن عشر  
ويذكر وقعة صارت مصداً  
جوزع ومهاجا حد تراه  
لما الجزار وأداني معاهم  
كراد وكز ما نفعهم لغاهما  
عقيد الكل مع الشوف يوسف  
يلومو صائر للحدار وجاهها  
وقل اليوم نكف باب صيدا  
ونمك ديرة بشارة معاهها  
حتم ناصيف بالبحيرة وزعم  
برب البيت والمختار طاهها  
مزايا جاذب السرين بيدي  
بلادي ما أحد غيري معاهها

ومن قصيدة لشاعر آخر  
يوم كثرمان شتوا العدي  
وكفها شربت بكسات الربي  
المير يوسف لطربوا ما أهدى  
شجعت وحوش البر من لحاح الغدا

وأي جانب عنايته بالوقائع والخبر تباشرت بني قومه  
كان الشاعر العامي مؤد بالغة دينية في نفسها ثقافة عامة  
الناس في جماعة عمادها الرابطة أدبينية

مع انفتاح جبل عامل على أفق ثقافية متنوعة خرج الشعر  
العامي من أساره واستعر مستعداً من تاريخه السويل  
والمجهول أمارة للقبائيا الوطن والإنسان . فاندرج هذا الشعر  
في قفائيا عربية عامة مع قضايا التحرر . كما تفتح فنيا مع  
جولات القوافي التي عمت لبنان وجالت في المخترجات حتى  
أياها الحاضرة . وكان العاملون حاضرين مع شعراء الجبل  
في . الجوقات . جميعها . ولقد رعواً ميكرأ دورهم الفني  
والاجتماعي فأسسوا سنة ١٩٤٤ . الرابطة الزجلية  
العامية . التي ترأسها آنذاك الشاعر على الحاج البعلبكي  
( حوامين التحتا ) وكان عضواًها الشعراء عبد الجليل  
وهي ( حاروف ) . عباس نجم ( حوامين التحتا ) . عبد الله  
الفقيه ( عين فانا ) . محمد علي درويش ( الغزاية ) . وسعد  
سعيد ( الصرندف ) . محمد المصطفي ( حوامين التحتا )  
وكامل رضا ( كفر حتى )  
والظاهرة المألوفة أن شعراء العامية في جبل عامل انقصروا  
على أولئك الذين لم تنسج لهم الظروف تلي تعليم على . ولم  
يكتب الشعراء الحديثون بالعامية بل انقصروا في معظمهم  
على الفصحي أن الشاعر إذ تعلم وصل إلى القصص الفصحي  
وأبأس إليها . ولذا فإن الشعر بقي أينا محطيات ثقافة  
العاملين اعتبار العامية خطية . ولذا فاشعر العامي عنده  
العاملين رغم مكانته البارزة اليوم . ماله إلى انقراض إذا  
استمرت الشروط الحالية للثقافة الجماعة . ومع تفكك العائلة  
وتعدين القرى

## محمد فرحات

( تنشر في الوقت نفسه في عدد مجلة . الباحث . الخاص  
بجنوب لبنان )

كيف ينشأ الشاعر بالعامية •  
في القرية . الجميلة . حيث المجتمع الزراعي لديه أوقات  
الفرغ الكثيرة . تغد السهوات . ويجمع الناس مطولا في  
مناسبات الأعراس والأتراس . ويكون الشاعر نجم هذه  
الاجتماعات ومركز تحلفها وموضع التريب تعبيراتها الفنية .  
تغفر القرية بشاعرها بين القرى والعائلة بين العائلات  
مستندة فخر القبيلة حين ينسج فيها شعرا .  
في السهوات الخاصة في القرية يندرج الشعر الحديث . إذ  
ينسج الحديثون قول الشعر . وسرعان ما ينقل الخبر من  
حلقة إلى حلقة أعل حتى يكسب الاعتراف عندما ينشأ القول  
مع شاعر كثر . ويتطلب هذا الاعتراف انتقاداً بين القول  
ينسج بالضرورة أماما قفائيا غالبا ما يكون ثرائيا ودينا  
ولقي تستقيم صورة نشأة الشاعر وإعدادة . خلاصة  
حديث أجريته مع الشاعر المعروف السيد محمد المصطفي في  
قرية حوامين التحتا  
• في من الصرندف سنة . ولدت ونشأت وأزال في قرية .  
تفليت العلم على الشيخ عبد المنعم من أنصار الشيخ عبد الله  
والعلم حسن ثم الشيخ عارف الحر من جباب . كان عمره  
آنذاك ٢٠ عاما . وكان مرشداً وصديقا  
أبي كان يقوم بالتفكير بين الشعراء . وقد أحضر في ميكرأ  
مجموعة كتب قرأها . وأذكر منها عشرة . الزير . بعض  
التواريخ الإسلامية . كتاب الهضام . كتاب الراس  
ومرجب وواقعة الخندق  
من مكتبة الشيخ عارف الحر الغزلية قرأت امرؤه  
القبس . المتنبي . ابن المعتز . مختارات من الشعر العربي .  
الشريف الرضي . يقول في الشيخ عارف ارتجل فارتجل  
الشعر . وأول ما ارتجلت أمامه . وقد كتبت منذ الصغر أحكي  
كلاما موزونا . ومن مرثلاتي آنذاك أذكر البيت التالي  
حسنت خلقة أم سرفة يا ست الغيد  
رصعتي نجوم الزرقا في در الجيد

بعد ذلك انطلقت ارتجل في المناسبة . وقد ارتجلت في عرس  
بلدة جباب وكان اسم العريس حمد والعريس راجحة  
زائن عروسه حمد من شمس الفصحي  
بجزآن حسن لنشوف من شاعبة  
كفلة اعتقت بالشمس حكمت بالذك  
وكفلة عسلح الأرش حكمت راجحة

أذكر أنني كتبت في الثانية عشرة من عمري وكان يحضر إلى  
حوامين الشاعر عبد المنعم الفقيه وهو في الخامسة والعشرين  
وكان يباري عيسى نجم وفي السهوات يتخلق حولهما الناس .  
غلبت آنذاك قليلا من الغلبا . لم تبايرت قليلا مع عبد  
المنعم

منذ صغري تفتحت على بلدة فيها العديد من الشعراء  
الحاج أسعد خليل بعلبكي ( باري شعور الوادي ) وكان يفتي  
في سيدة المنطرة في مفوشة ويباري شعراء منهم قاسم أيوب  
من حاروف . الطوش من كفرمتي . محمد طنجية من  
البليدة . نجيب النحاس من كفرمتي . موسى شريم من  
حوامين ( الوفا ) . السيد علي مصد ( خالي ) . دياب نجم  
( شاعر ضير لدير في الكتانية ضعيف الارتجال ) . له . سجن  
أهل الفن . وهو قصيدة طويلة مطبوعة ذات معان غامضة  
والد حاول حل الغزاه حسن شكر من عاقون ( في كتاب  
مطبوع ) . الشيخ عارف الحر . محمود أسعد البعلبكي من  
حوامين التحتا . رشيد ثلثة من الباروك وشعور الوادي من  
وادي الشعور ) . محمود الحاج أسعد البعلبكي وشقيقه  
على الحاج البعلبكي

منذ المعاصرة من عمري كتفت عن اللعب مع الأولاد وصرت  
أجلس الشعراء . ولقد أوصاني أبي فقال . لا تسلك ما  
يسلك غيرك . بل أحضر كلاما لم يتكلمه غيرك . فحسرت .  
وبحسب إعلامي أربغ بالمرفات الجديدة غير السموقة  
وعندما تضيق أصاصي الفلسفية السا  
إلى كلمة صعبة من احتياضياتي .  
هذا المنهج نهاني عنه عيسى نجم وكان يقول أنه غير مناسب  
للشعر الشعبي . الأبياء والشعراء يعطرون أنني عميق  
فصائدي . أكل . من غيرها . وعندما اسجل شاعرا أجيبه  
بـ . مسامر مطفي .

اعتقد أن المتطاعة مفيدة جدا للشاعر إضافة إلى الموهبة .  
وأما منذ البدء عاشق للكتاب . أرعى البكر والكتاب في يدي .  
جملت وأحببت وعند الزواج وبعدة بلي الكتاب في يدي . لقد  
جودت القرآن الكريم كله . قرأت التوراة على الشيخ عارف  
ومطبوعات من الإنجيل . لقي الشيخ عارف أنها منوطة  
ولكنه أطلعني على عقائد المسيحيين  
أمل من السياسة وقراءة الصحف واتعشق الحماسة .  
وشعر الحب . كنت في فتواي مغرما . وقد مالت عني من  
أحب . كنت أرعى البكر فنطقت قصيدة . فلما مي . في  
ساعتين ولم أصح منها في ما بعد سوى أربع كلمات . وهنا  
مطلعا

لذا مي ما رجعت لتقاه  
وصدت بعد وصل . ما دهاها  
أدب في الصبغة كان مني